نظرة تأريخية لتاريخ المهرجان الوطني للتراث والثقافة

التاريخ العسكري

أ. إبراهيم بن أحمد أبو عمة

في الفترة من ٦ ـ ١٢ رجب ١٤٠٥هـ الموافق ٢٣ مارس إلى ٣ إبريل ١٩٨٥م نظم الحرس الوطني، المهرجان الأول للتراث والثقافة بالجنادرية حيث تحول سباق الهجن السنوي الكبير والذي كان يقام في الماضي كعادة سنوية، وبأمر من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله إلى مهرجان سنوي شامل يضم شتى مجالات التراث الشعبي والثقافة العربية في قرية تراثية نموذجية.

وقد شرف الملك فهد بن عبدالعزيز غفر الله له حفل افتتاح المهرجان الأول مساء يوم الأربعاء ١٤٠٥/٧/٦هـ بحضور صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز (ولي العهد)

آنذاك، رئيس الحرس الوطني وعدد من ضيوف المملكة وكبار رجالات الدولة.

وقد اشتمل حفل افتتاح المهرجان على العديد من الكلمات والفقرات التراثية من الرقصات الشعبية والفولوكور الوطني الذي مثل جميع مناطق المملكة توجت بعد ذلك بالعرضة السعودية التي شارك فيها كبار المسؤولين.

وقد أمر رحمه الله بتمديد مدة المهرجان إلى أسبوعين بدلاً من أسبوع واحد لما رآه رحمه الله من استعدادات في قرية الجنادرية التراثية تستحق من جميع المواطنين والوافدين الإطلاع عليها والتجول فيها الأمر الذي لا يمكنهم من تحقيقه في أسبوع واحد. وفعلاً فقد مضت أيام المهرجان ما بين أمسيات شعرية وقصصية وندوات أدبية وثقافية ومحاضرات وما بين محاورات شعرية وعروض فنية رائعة تمثل حياة أسلافنا أحسن تمثيل.

وكان من أبرز متغيراته تخصيص يومين للنساء والعائلات، وقد أجمع النقاد، والزوار، وضيوف المهرجان الذين قدموا من خارج المملكة على نجاحه فكرة، وتطبيقاً، وتنظيماً. وقد نجح في نقل الصورة الحية عن نشاط أولئك الآباء إلى هذه الأجيال.

وقد أمر الملك فهد تغمده الله بواسع رحمته بأن يتبنى الحرس الوطني بناء قرية نموذجية للتراث يقام فيها مهرجان سنوي للتراث تكون أشبه بالقرية التراثية المتكاملة والشاملة.

وقد بدأ فعلاً المهندسون السعوديون بعمل التصورات اللازمة لهذه القرية، وقد تم بناؤه، وبين عام وآخر أخذت قرية الجنادرية تتطور رويداً رويداً مع تنامي الأفكار ودمج الأفكار الحديثة مع ما استقرئ من تاريخ مجيد وماضي عريق، حتى أصبحت بهذا الشكل المعماري التي هي عليه الآن.

الاعتزاز بالوطن

إن احتفال الأمة بثقافتها، وإحياء تراثها، لا شك أنه مظهر من مظاهر الإصرار على استقلال الشخصية وتخليصها من التبعية، بل أنه المظهر الأبرز والأكثر حيوية، والجانب الأقوى لإبراز الملامح، وإظهار قدرات الذات، وتنوير الرأي العام العالمي عن قيمة أمة ما. والتعريف بأنفس ما عندها، وهذا معناه إحساسها بالتشكيل الحضاري الفاعل، وضرورة تحميل المسؤولية لأجيالها المتعاقبة، وتحسيسها بالإعتزاز الوطني، وتجميل صورة الأصالة في عيونها، لأن التواصل تجديد للمجتمعات، تماماً على عكس الانقطاع المفتت للروابط، والمفكك للعرى، والغاية من إقامة المهرجانات الثقافية، ليس لتسجيل نصر معنوي، وتذكير بأحوال مرت،

فبرغم مظاهر القدم في التراث، وعدم الحاجة للكثير من الأدوات القديمة، والاستغناء عن الحرف الماضية، والإقلاع عن العديد من الأساليب المتعبة، واختلاف المقاييس من عصر لآخر، وتغير المفاهيم، فإنه استخلاص للنقاوة الثقافية، وتحريرها من ربقة الدخيل، حيث تتأهل لمواجهة التحديات، وتتحصن بذلك من شتى أشكال الغزو الخارجي، فتتعزز مواقعها عندما تجعل التمييز رأس مالها، لكون تراث الأمة نبعها الثري، وحاضرها وعاؤها، والماضي لا بد أن يصب في هذا الوعاء، ولكن المهم أن يصب الصافي، وتتوافر شروط استيعاب ما يجد، وهذه ناحية تعتمد على حسن الاستقبال، فكلما اتسع الوعاء، وارتفع مستوى جودة الصنع، حتماً سيحتفظ بالإشعاع الثقافي، ويهضم الحركة التطويرية مهما بلغت سرعتها. لذا فإن الإعتزاز بالوطن هو في مقدمة جودة الصنع، لنحتفظ بإشعاعنا الثقافي.

الجنادرية

الجنادرية اسم لروضة تقع إلى الشمال من مدينة الرياض وهي مصب لعدة أودية، وهي روضة ممتدة ومنقسمة إلى عدة أقسام، منها الروضة الشمالية والوسطى والجنوبية وكانت قديماً تسمى روضة سويس، وقد ذكرها مجموعة من المؤلفين الذين كتبوا عن المنازل والديار في اليمامة، وهي روضة منبتة، تنبت الثمل، والحنوه، والكرش، والحرب، والحوذان، وجميع النباتات الروضية، وكانت منتزهاً لسكان مدينة الرياض وكانوا يخرجون إليها وقت الربيع، وكان الطريق الذي يبدأ من الرياض يمر بالوديان التي تسيل فيها، ويمر بروضة الجنادرية ويخرج على العرقة ويعتبر هذا طريقاً إلى البصرة.

والجنادرية.. قطعة أرض تبعد عن الرياض حوالي أربعين كيلومتراً.. لا يعرفها في السابق إلا البدو الرحل.. الذين يعرفون شعاب الجزيرة العربية ووديانها وقيعانها كمعالم لطرقهم.. أو كاستراحات لهم.. أو كمراع لإبلهم وليس إلا .. ثم نسي مع ما نسي.. حتى جاءت فكرة الجنادرية.. (الحدث).

وكل مكان في المملكة يصلح أن يكون الجنادرية.. لأن كل مكان يرمز للماضي.. وقد مرت عليه رهوط من الأسلاف.. يصنعون حاضرهم.. ومستقبل أبنائهم وأحفادهم.. بأظافرهم.. ليقهروا ظروف الصحراء الصعبة المراس.

لكن يكتب الله أن تكون أرض الجنادرية هي المكان الذي يتردد اسمه سنوياً عبر وسائل الإعلام المختلفة.. وأن يزورها عشرات الآلاف من الناس.. للعبرة والفرجة.

جلالة الملك وسمو ولي عهد البحرين في مقدمة حضور سباق الهجن السنوي الكبير

الحرص الدائم على النجاح

لقد أصر كافة المسؤولين في هذا الوطن المعطاء، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد يرحمه الله، وسمو ولي عهده الأمين (آنذاك) الأمير عبدالله، على أن هذه التظاهرة الثقافية الحضارية ما أوجدت إلا لتستمر، بل وتتطور عاماً بعد عام، حتى أصبحت عرساً ثقافياً إنسانياً كل عام، تعيشه بلادنا الغالية، يقوم عليه الحرس الوطني وبنجاح لرسم صورة الماضي في أحضان الجنادرية.

لقد نجح خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله منذ أن كان ولياً للعهد في صياغة وتأسيس الحرس الوطني وتحويله من مجال عسكري إلى مشهد ثقافي يحضره المفكرون والعلماء من كل الاتجاهات وعلى مختلف التنوع الاجتماعي والثقافي وإلى أكبر مؤسسة طبية عربية وواحدة من منجزاته العالمية، إلى جانب وظيفته الأساسية كجهاز أمن وردع وحماية للوطن ومكتسباته ومقدراته وبعد النجاحات المتلاحقة التي حققتها الجنادرية عاماً بعد عام استمر المهرجان الوطني متدفقاً بعطاءاته ليفاجئنا كل عام بكل ما هو جديد في حقول الثقافة، والتراث، والمعارف، لا بل تعداها إلى الحوارات الفكرية الجادة في الطرح، والقيمة في محتواها، لقد وفق الحرس الوطني وكافة مسؤوليه من أعلى هرمه في رسم لوحة الإبداع والعطاء الثقافي في بيت العرب الكبير. وها هو المهرجان الواحد والعشرون يطل علينا أمناً وتآخياً، ووحدة قامت على الحق، وستبقى عليه إن شاء الله. نستحضر هذا ونعمقه في نفوسنا ونفوس أجيالنا القادمة ولا نغفله أو تبعدنا عنه ظروف العصر ومتغيراته.

وختاماً إن من نعم الله على المهرجان أنه لم يولد عملاقاً مكتملاً بل ولد ولادة طبيعية شرعية، ونما وتطور وتكونت ملامحه دورة بعد أخرى على نحو طبيعي، بحيث كانت كل دورة من دوراته نقلة طبيعية من الدورات السابقة إلى الدورة اللاحقة، نتعلم من الأولى لنطبق الثانية.

هكذا نما المهرجان وأصبح مهرجاناً سعودياً.. خليجياً.. عربياً.. إسلامياً .. وعالمياً.. وأنضم إلى قائمة المهرجانات العربية والعالمية التي تلعب دوراً هاماً في بحث قضايا الثقافة وفي تعميق الروابط بين المثقفين وفي ربط حاضر الإنسانية بماضيها ومستقبلها.

منذ عام ١٤٠٥هـ وحتى اليوم أقيمت عشرون دورة من دورات المهرجان شهدها مئات الألوف من الرجال والنساء، جاءوا من أقصى الأرض، وطرحت عشرات الأفكار والقضايا واختلف فريق مع آخر، واحتدمت المناقشات إلا أن الجميع غادروا الجنادرية في ظل الإخوة والصداقة والمودة على وعد باللقاء في السنوات القادمة.